الحبيب بورقيبة

وطعنه على القرآن والرسول

وما يكشفه ذلك من واقع المسلمين

اطلع قراء (الرائد) أو أكثرهم عن طريق بعض الصحف والمجلات الإسلاميّة على ما ورد علـــى لـــسان الحبيـــب بورقيبة من طعن على القرآن الكريم وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ..

ونحن لا نريد أن نكرر ما ورد في بعض الصحف والمجلات الإسلاميّة من بيان حكم الإسلام فيمن يتفوه بمثل هذا الكلام ، ولا نريد أيضاً أن نردّ على بورقيبة ، فبورقيبة ليس من رجال العلم والفكر ، وكلامه من هذه الزاوية ليس له أيّ وزن ، ولقد تصدى للقرآن وللرسول صلى الله عليه وسلّم على توالي العصور أعداء هم أكثر من بورقيبة علماً ، وأقوى منه فكراً ، وذهب هؤلاء الأعداء المبطلون ، وبقي القرآن الكريم منارة للسارين ، وهدى للحائرين ، ودلـــيلاً للمتقين إلى خيري الدنيا والآخرة على السواء .. وبقيت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلّم بـــسموها وعظمتـــها وكمالها فوق منال الطاعنين ، رحمة للعالمين ، وأسوة للمؤمنين ، في كل زمن وفي كل جيل .

وبورقيبة بكلامه الذي نقل عنه ، و لم يتنصل منه ، لا ينال من الإسلام ولكن ينال من نفسه ، ولا يضرّ الله عـــزَّ وجلَّ شيئاً ولكن يضرّ نفسه وحدها

﴿ **مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ... ﴾ [الإسراء : ١٥]

وليستحضر الإخوة القراء في أنفسهم ما ورد في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه : « ... **يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا** ... **يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَـــدَ غَيْـــرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ** »

لا نريد إذن أن نردّ على الحبيب بورقيبة ، ولا نشعر بحاجة إلى هذا الردّ ، ولكننا نريد أن ننظر إلى الأمـــور مـــن زاوية ثانية تكشف لنا واقع العرب والمسلمين السيّء .. وتضع أيدينا على علة من أهم علل انهيارهم وهزيمتهم ..

لو أن الحبيب بورقيبة لم يطعن على كتاب الله عزَّ وجلَّ وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وزاد أسعار الخبز والرز والسكر ، أو نقص رواتب الموظفين ، أو وضع في برامج الدراسة ما لا يرضي الطلاب مثلاً ، لقامـــت الـــدنيا وقعدت ، وامتلأت البلاد بالاحتجاجات ، والشوارع –ربما– بالمظاهرات .. أفتكون بطوننا ومصالحنا المادية القريبـــة أو البعيدة أغلى عندنا من ديننا ومن نبينا صلى الله عليه وسلّم ؟! وإذا كان الأمر كذلك فهل يستغرب فينا أيُّ هزيمة وأيُّ انهيار في أيِّ ميدان من الميادين

ولو أن الحبيب بورقيبة هاجم ملكاً من ملوك العرب والمسلمين ، أو رئيساً من رؤسائهم ، أو نظاماً من أنظمـــة حكمهم ، لقامت الدنيا أيضاً ، ولاضطربت العلاقات ، واحتدمت حرب الإذاعات ، ورأى العالم الغضبات المضرية التي لا تظهر إلاّ بمثل هذه الأوقات .. أفيكون أشخاص حكامنا وأنظمتهم أغلى عندهم من إسلام أمتهم ومن نبيهـــا صلى الله عليه وسلّم ؟! وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقودون الأمة في طريق عقيدتها ودينها إلى النصر وإلى التقدم الحقيقي والمستقبل المنشود ؟! .

إنّ الحكام الذين يرفعون أنفسهم فوق عقيدة أمتهم ، ومصالحهم الخاصة فوق مـــصلحتها الحقيقيـــة في آخرتهـــا ودنياها ، لا يقودونها إلاّ إلى الهزيمة والانهيار

وأين بعد ذلك هذه الشعارات الإسلامية التي ترفع هنا وهناك ، ومؤتمرات (القمة) التي تنعقد باسم الإســـلام وفي سبيل الإسلام ؟! .. هل القضية شعارات في شعارات ، وعناوين ومظاهر لا علاقة لها بـــالمحتوى والحقيقـــة –إن لم تتناقض مع الحقيقة والمحتوى– ؟! ..

إنّ أقوال الحبيب بورقيبة في نظرنا لا تصم الحبيب بورقيبة وحده ، ولكنها تصم واقع العرب والمسلمين الراهن ، وواقع حكامهم بسكوتهم عنه وعن أمثاله ، ومساعدتهم إياهم ، وتعاونهم معهم في مختلف الميادين

فيا مسلمون ! وعياً وعياً لواقعكم ، وإحساساً إحساساً بسوء أوضاعكم ، فلولا ذلك لما جرؤ الحبيب بورقيبة ولا سواه من أمثاله على قول مثل ما قال ، ولما بلغ من استهانته بكم وامتنانه لكم ولتاريخكم الإسلاميّ المديد المجيد ، أن يطعن بالقرآن الكريم ، والرسول العظيم ، الذي تؤمنون به ، وتشهدون أنّه رسول الله .. دون أن يخشى أقل ما يخشاه حاكم من شعبه في أقل من هذا الأمر بكثير

ويا مسلمون ! عودة عودة إلى الإسلام العظيم أفراداً وجماعات ، واستمساكاً استمساكاً به مهما كانت الظروف ومهما عظم الثمن ، فالإسلام هو طريقكم الوحيد إلى مرضاة الله عزَّ وجلَّ ، وهو طريقكم الوحيد إلى التقدم والعدل والوحدة والقوة والكرامة والنصر .